وقد تفاعلت كل قوة منها مع الانتفاضة بصورة مختلفة، بحيث جاءت استجاباتها تعكس هذا المدى الواسع من تباين الاتجاهات والتطلعات، فتراوحت مواقف القوى تلك بين الدعوة الى التخلّص من الفلسطينيين بالابادة، أو الترحيل القسري (الترانسفير)، وبين الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في اقامة دولته الخاصة على جزء من وطنه المحتل.

ان رصد التحوّلات التي احدثتها الانتفاضة الفلسطينية في مواقف القوى السياسية الاسرائيلية المنظمة، يقتضي، بداية، الوقوف عند كيفية تفاعل القاعدة الشعبية الاسرائيلية مع الانتفاضة، وطبيعة استجابتها لها، والعوامل التي حدّدت هذه الاستجابة. ففي كيان يحكمه نظام برلماني، وتخضع القوى الحزبية فيه للاعتبارات الانتخابية، يصبح المزاج العام للجمهور هو الموجّه الأول لبرامج الاحزاب ومواقفها، كما يصبح، في الوقت عينه، المعيار العملي لوزن كل حزب منها، ضمن الخارطة السياسية العامة.

الانتفاضة والرأي العام في اسرائيل

كتب صحفي اسرائيلي: «ان الانتفاضة أصابت العصب الاكثر حساسية للوعي الجماعي لدى الاسرائيليين»[٦]. وهذا العصب هو المتعلق بمصير اليهود، ومستقبل اسرائيل. فالانتفاضة الفلسطينية، في منظور غالبية الجمهور الاسرائيلي، تشكّل تهديداً مباشراً للمشروع الصهيوني برمّته. وقد عبّر الكاتب الاسرائيلي عوزي بنجمان عن الصدمة التي احدثتها الانتفاضة في الوعي الاسرائيلي بـ «ان أحداث المناطق [المحتلة] أيقظت مسائل أساسية من سباتها تتعلق بهوية الدولة، وحدودها، وتعريف سكانها، وقدرتها على البقاء». وأضاف: «هناك حاجة، اليوم، الى مناقشة الشرك الذي وقعت فيه الدولة، والى الاجابة عن أسئلة حقيقية، مثل: ما هو تعريف الشعب الذي يعيش في هذه الدولة؟ ما هو مستقبل العلاقات بين الجمهور اليهودي والجمهور العربي؟ ما هي فرص بقاء دولة اسرائيل كوطن قومي للشعب اليهودي؟ ما هي الغاية من الاحتفاظ بالمناطق [المحتلة]؟ هل من المستساغ التفكير في رسم حدود جديدة تفصل بين اليهود والعرب؟». واعترف بنجمان بأن «هذه الاسئلة قائمة في أعماق الوعي العام، وهي لا تطرح، لأنها عصيّة على الحل»[٧].

وهكذا، فان الانتفاضة الفلسطينية ـ كما ترتسم في الوعي الاسرائيلي ـ لا تشكّل مجرّد حدث عابر ينطوي على احتمالات محدودة؛ بل هي حالة ذات أبعاد استراتيجية تتصل بجوهر الصراع العربي ـ الاسرائيلي، وتعيد هذا الصراع الى بداياته الاولى، حيث يبدو وكأن مصير كل من طرفي الصراع ـ وليس الفلسطينيين وحدهم ـ رهن بتطوّرات الاحداث الجارية في الوطن المحتل.

لقد انفعل الرأي العام الاسرائيلي بالانتفاضة كما لم ينفعل بأي حدث داخلي، أو خارجي، منذ حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣. ولعلّ أبرز تعبيرات هذا الانفعال يتمثّل في اهتزاز ثقة الاسرائيليين بمستقبل اسرائيل، وبقدرة قيادتهم على استخلاص الحلول الملائمة لمشكلات كيانهم المستعصية. أورد الكاتب الاسرائيلي آري شافيط، الذي قام، في تموز (يوليو) ١٩٨٨، باستطلاع لآراء بعض الشخصيات الاسرائيلية حول الانسحاب من المناطق المحتلة العام ١٩٦٧، «ان موجة الاحداث التي مرّت بنا تحمل معها نتيجة مضاعفة؛ فمن جهة، أخذ المزيد من الاسرائيليين يدركون كم هو كبير المأزق الذي تعيشه دولتهم؛ ومن جهة أخرى، فان سيناريوهات الحلول المعروفة تبدو للكثيرين منهم أقل اقناعاً من أي وقت مضى، وتعاظمت الحاجة الى اتخاذ قرار. ولكن معظم المقترحات التي تعرضها المعسكرات القائمة عقيم، أو غير عقلاني»[٨].